

الحلقة التاسعة

كلمات الرسل الأوائل

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي بعنوان: من كتابات الرسل الأوائل. لقد دوّن رسل المسيح الأوائل رسائل عديدة، شرحوا فيها الحقائق والتعاليم المسيحية، كما وضعوا لجماعة المؤمنين أسس ومبادئ السلوك المسيحي.

هل تعلم صديقي أن خطّة الله لخلّاص الإنسان قد أعدّها الله منذ الأزل؟ وهل تعلم أنه قد تمّ الإعلان عنها عند مجيء المخلّص المسيح فقط؟ لقد كان لابدّ لله أن يمهدّ لمجيء المخلّص المسيح بتعامله مع البشر بإعلانات ونبوءات عديدة. وعندما أتى المسيح عرف الناس أن هذا هو المخلّص الموعود به. أجل، لم يكن مجيء المسيح إلى عالمنا هكذا صدفة وبدون تخطيط إلهي. بل جاء بناء على إعداد الله لمجيئه منذ الأزل، ومن خلال وعود ونبوءات وإشارات عديدة لمجيئه. وهذه علامة هامة للتأكد من نبوءة أي إنسان يدعي النبوءة، أو أن الله قد أرسله.

كتب الرسول بطرس من رسل المسيحية الأوائل في هذا الصدد إلى المؤمنين بالمسيح قائلاً: «الْخَلَّاصَ الَّذِي فَتَّشَ وَبَحَثَ عَنْهُ أَنْبِيَاءُ، الَّذِينَ تَنَبَّأُوا عَنِ النِّعْمَةِ الَّتِي لِأَجْلِكُمْ، بِأَحْيَيْنَ أَيُّ وَقْتٍ أَوْ مَا الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَدُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِمْ، إِذْ سَبَقَ فَتَشَهُ بِالْآلَامِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ، وَالْأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا. الَّذِينَ أُعْلِنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسَ لَأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لَنَا كَانُوا يَخْدُمُونَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي أُخْبِرْتُمْ بِهَا أَنْتُمْ الْآنَ، بِوَسِطَةِ الَّذِينَ بَشَّرُوكُمْ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُرْسَلِ مِنَ السَّمَاءِ. الَّتِي تَشْتَهِي الْمَلَائِكَةُ أَنْ تَطَّلَعَ عَلَيْهَا» (بطرس ١: ١٠-١٢). سنتأمل الآن بهذه الآيات المقدسة فابقوا معنا أعزائي.

مستمعي الكريم، أوضح لنا الرسول بطرس أن خلاص الله الذي أعلن من خلال المخلّص المسيح، قد بحث وفتش عنه الأنبياء منذ القديم. وهو يقصد هنا أنبياء العهد القديم، الذين تنبأوا عن مجيء المسيح وبدء عصر مجيد تعلن فيه نعمة الله، وخلصه. وليس هذا فحسب بل أن هؤلاء الأنبياء كانوا يبحثون عن الوقت الذي سيأتي فيه المسيح المخلّص. مع العلم أن أولئك الأنبياء قد تنبأوا عن مجيء المسيح والآلام التي سيمر بها عبر موته على الصليب، والامجاد التي سيحصل عليها بعد قيامته المجيدة من بين الأموات وصعوده حياً إلى السماء.

وأضاف الرسول بطرس قائلاً: أن أولئك الأنبياء أدركوا أن إعلانات الله لهم، عن مجيء هذا المخلص، لم يكن هدفها خدمتهم هم، بل خدمة الأجيال التي ستأتي بعدهم، أي عند مجيء المسيح. وأن هذه البشارة المفرحة بخلص المسيح قد أعلنت للبشر بواسطة روح الله القدوس، الذي أرسله الله من السماء لأجلهم. لكن الأمر العجيب أن الرسول بطرس أعلن في هذه الآيات المقدسة أن خطة الله لخلص الإنسان تشتهي الملائكة أن تطلع عليها. والسبب لأن هذه الخطة كان هدفها الإنسان فقط، ولهذا لم يكن للملائكة معرفة أو علاقة بها. إن الملائكة هم عبارة عن خدام الله ينفذون أوامره وتعليماته.

وهذا يؤكد أن الله قد أعدّ خطة الخلاص منذ الأزل لهدف إنقاذ الإنسان. لعلّ السؤال الآن هو: إنقاذ الإنسان ممّاذ؟ وللجواب نقول: إنقاذ الإنسان من عبودية الخطيئة التي سقط فيها عندما عصى آدم وحواء الله. مع العلم أن الله قد علم بسقوط الإنسان في الخطيئة وقبل خلقه، ولهذا أعدّ له خطة أزليّة لإنقاذه. ولقد أعلن الله كما ذكرنا، عن خطته هذه من خلال رجال وأنبياء العهد القديم. فوعد الإنسان عند سقوطه بمجيء المخلص الذي سيسحق رأس الشيطان الحيّة، ويوهبه الخلاص. ثم وعد إبراهيم الخليل أن ينسله سيأتي من ستتبارك به ومن خلاله جميع أمم وقبائل الأرض. وتتأ أنبياء العهد القديم عن المسيح المخلص الذي سيأتي ويُعلن خلاص الله، ويبدأ عهداً جديداً ما بين الله والإنسان. وكان هؤلاء الأنبياء مع الأتقياء من شعب الله في القديم، ينتظرون ويتوقعون مجيء المسيح المخلص، و بدء عصره المجيد.

لعلّ السؤال الآن: كيف تمّ الله خطته لخلص الإنسان؟ لقد تمّ الله خطته عندما أرسل كلمته الأزلي المخلص المسيح من السماء. وهو الذي تجسّد من العذراء مريم إذ حُبِل به من الروح القدس. وهكذا أتى المسيح لكي يتمّ وعود الله للإنسان بتحريره من عبودية الخطيئة، وليبدأ عهداً جديداً ما بين الله والإنسان.

ولهذا بدأ المخلص المسيح خدمته معلناً للناس: «قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَافْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللَّهِ، فَتَوَيْبُوا وَآمِنُوا بِالْإِنْجِيلِ» (بشارة مرقس ١: ١٥). وبهذا أكدّ المسيح أن الوقت قد حلّ لتتيم وعود الله بمجيئه وإعلان ملكوته. ودعا الناس لكي تتوب وتؤمن ببشارة الإنجيل المفرحة، بشارة الخلاص. وجال المسيح في كل مدن فلسطين وقراها يشفي المرضى، ويُجري المعجزات الباهرة، ففتح أعين العميان، وأقام المقعدين، وأعاد الحياة إلى الموتى، وكان يعلم بالتعاليم الإلهية التي أدهشت أولاً معلّمي اليهود وكل جماهير الشعب. وهكذا أكدّ المخلص المسيح أنه هو فعلاً المخلص الذي كان ينتظره الشعب.

لكن، كيف تمّ المخلّص المسيح وعود الله بخلّاص الإنسان؟ لقد أكّد المسيح مراراً لتلاميذه أنه لا بدّ له أن يُصلب ويقوم في اليوم الثالث، فداءً للجنس البشري. وهذا ما حصل فعلاً إذ قبض رؤساء اليهود على المسيح وأسلموه للرومان، الذين أمروا بصلبه. وهكذا مات المسيح على الصليب، وتمّ دفنه. لكن المسيح وكما وعد تلاميذه قام في اليوم الثالث غالباً منتصراً. ثم ظهر لهم لمدة أربعين يوماً شارحاً لهم معاني موته على الصليب، ودفنه وقيامته حياً. ومبرهنناً لهم أيضاً عن ملكوت الله، والعهد الجديد الذي بدأه. أجل، إن المسيح قد مات فديّةً عنّا نحن البشر الخاطئة، وقام لكي يحررنا من العبودية ويهبنا الغفران.

هذا هو الخلاص الذي وعد به الله البشر منذ القديم، والذي تنبأ عنه الأنبياء. أن المسيح سيأتي ويوهب الخلاص الأبدي الكامل، لكل من يؤمن به ويعمله الكفّاري على الصليب وقيامته المجيدة. فهل تُرك تؤمن مستمعي بهذا المخلّص الفريد؟ وهكذا تنال الغفران عن ذنوبك، وتحظى بالحياة الأبدية؟